المحاضرة السادسة/ الإعجاز الصرفي: الخرق والعدول

العدول لغة*: عدل عن الشيء يعدل عدلاً وعدولاً : حاد ، وعن الطريق جار، وعدل إليه عدولا : رجع ، وفي الحديث : "لا تعدل سارحتُكم" أي لا تصرف ماشيتكم ، والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه ، وعدل عنه يعدل عدولاً إذا مالَ كأنَّه يميل عن الواحد إلى الآخر، قال المرار: فلما أن صدمت وكان أمري قويما لا يميل به العدول[1]

العدول في الاصطلاح هو مصطلح يقوم على مخالفة قواعد اللغة، نشأ بصورة مغايرة لما هو مألوف في الاستعمال المتعارف عليه من خلال ملاحظة اللغويين تراكيب خالفت القاعدة الأصل، وقد اصطلح عليه اسم الخرق أيضا لكونه يحدث خرقا في الأسلوب السائد والمتعارف عليه.

عرفه الجرجاني (من القدماء)بقوله :"العدل في اصطلاح النحويين خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى"[2]، ويعرف البعض بأنه الخروج عن قواعد اللغة المثالية.

يرى موكاروفسكي (من المحدثين) أنّ السمة التي تميز اللغة الشعرية من اللغة المعيارية "انحرافها عن قانون اللغة المعيارية وخرقها له"[3] هي إذْن "انتهاك قانون اللغة المعيارية الانتهاك المنتظم هو الذي يجعل الاستخدام الشعري للغة ممكنا، ومن دون هذا الإمكان لا يوجد الشعر،

---

*: من المصطلحات التي تعبر عن مفهوم العدول : الانزياح ، التجاوز ، الانحراف ، الاختلال ، الإطاحة ، المخالفة ، الشناعة ، الانتهاك ، خرق السنن ، العصيان ، التحريف ، الانكسار ، الإزاحة ، الانزلاق ، الاختراق ، التناقض ، المفارقة ، التنافر ، مزج الأضداد ، الاختلال ، الانحناء ، التغريب ،

[1]: ابن منظور، لسان العرب

[2]: الشريف الجرجاني ؛ التعريفات ، تح ، إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العلمي، بيروت ، ط1 ، 1405هـ، ص191.

[3]:

وكلما كان قانون اللغة المعيارية أكثر ثباتا في لغة ما كان انتهاكه أكثر تنوعا، ومن ثم كثرت إمكانات الشعر في تلك اللغة[4]"،

تعريف العدول الصرفي: لما كان موضوع علم الصرف هو المفردات ، وبالذَّات الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة فإن مفهوم "العدول الصرفي" يتحدد بغياب التطابق بين هذه المفردات في الخطاب: كالاختلاف في الجنس، أو العدد، أو الزمن؛ ومنه فإن كلَّ ما يبدو من مفارقة بين أجزاء الكلام ؛ كإسناد الفعل المؤنَّث إلى الفاعل المذكَّر، أو الإخبار عن المستقبل بالماضي، أو خطاب الواحد بلفظ الجماعة، أو الجماعة بلفظ الواحد، أو نحو ذلك مما سنفصل فيه يدخل تحت مفهوم العدول الصرفي، وانطلاقا من هذا التعريف يتضح ان للعدول الصرفي عدة انواع، وسنفصل الحديث فيها.

ثانيا/ أنواع العدول:

1/ العدول الاسمي: ومن فروعه نذكر:

أ/ العدول في العدد: اللفظ في العربية لا يعدو أن يكون مفردا أو مثنى أو جمعا ، ومن ثم فإن للعدول العددي نظريا ستَّ صور هي : العدول عن المفرد إلى المثنى ، – العدول عن المفرد إلى الجمع ، – العدول عن المثنى إلى المفرد ، – العدول عن المثنى إلى الجمع ، – العدول عن الجمع إلى المفرد ، – العدول عن الجمع إلى المثنى، ومن امثلة العدول عن المثنى الى المفرد ما جاء في قوله تعالى: "**وجعلنا ابن مريم وأمّه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار معين**" **(المؤمنون 50)**، ويظهر العدول في لفظة أية إذا كان المتوقع من السياق أن يقال (آيتين)، ولكن المولى عبر عن الاثنين بالمفرد لأنّ شان عيسى ابن وأمه واحد، والأمر نفسه في **قوله تعالى:** "**والله ورسوله أحق أن يرضوه**"**(التوبه 62)**، وجاء يرضوه بدل يرضوها لأنّ رضا رسول

---

[4]:

الله من رضا الله، فهو مبلغ رسالة ربه، ومنه فالعدول عن المثنى إلى المفرد كان لضرورة تناسب المفردات مع بعضها البعض، ولأسرار بيانية يكشفها السياق الوارد فيه.

ومن امثلة العدول من المفرد الى الجمع نذكر قوله تعالى: " مثلهم كمثل الدي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون"(البقرة 17)، فالمفردات (نورهم تركهم لا يبصرون) جاءت بصيغة الجمع بعد أن كان الخطاب للمفرد(الذي استوقد نارا)، لأنّه يصف حالة المنافقين ككل لا حال المستوقد الواحد.

ب/ العدول في الجنس: من المعروف أنّ كلمات اللغة العربية إمّا مذكرة أو مؤنثة، فلا تحتل واحد منهما محل الآخر إلّا لسبب وجيه، وكما هو الحال في القرآن الكريم الذي انفرد أسلوبه، حيث اعتمد أسلوبه على خرق النسق المتعارف عليه في اللغة العربية في بعض المواضع، فأحيانا نلاحظ فيه عدولا من المذكر إلى المؤنث أو العكس، ومن أمثلة ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

وجاء من باب العدول من المذكر إلى المؤنث قوله تعالى: "**فكيف تتقون أن كفرتهم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعول**ا"(المزمل 17/ 18)، فوصف السماء بصيغة المذكر (منفطر) من الانفطار أي تشقق وكله في سياق التهويل من اليوم الموعود، "ولعل العدول في الآية عن الاستعمال الشائع في الكلام الفصيح إجراء السماء على التأنيث إلى التذكير ايثارا لتخفيف الوصف لأنه لما جيء به في صيغة منفعل بحرفي زيادة وهما الميم والنون كانت الكلمة معرضة للثقل اذا ألحق بها حرف زائد آخر ثالث، وهو هاء التأنيث فيحصل فيها ثقل يجنبه الكلام البالغ غاية الفصاحة"، والتخفيف هنا لتجنب الثقل في النطق وليس لتخفيف الوصف، حيث انها في موضع آخر ذكرت الصفة المؤنثة في قوله تعالى" واذا السماء انفطرت" لأنّها تضم حرف زائد واحد.

ومن أمثله العدول عن المؤنث إلى المذكر نجد قوله تعالى في قصة مريم "**يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**" **آل عمران 43**، موضع العدول في لفظة الراكعين ، وهي جمع مذكر والسياق يتحدث عن المؤنث لكنه لم يقل مع الراكعات لضرورة بلاغية استدعتها متطلبات السياق. وقد ذهب المفسرون بانّ "قوله مع الراكعين اذن له بالصلاة مع الجماعة، وهذه الخصوصية لها من بين نساء اسرائيل اظهارا لمعنى ارتفاعها عن بقية النساء، ولهذا جيء في الراكعين بعلامة جمع التذكير"

ج/العدول بين المعرفة والنكرة:

الاسم إما معرفة أو نكرة ، والنكرة >> ما شاع في جنس ؛ موجود : كـ" :رجل" ، أو مقدر كـ : "شمس"، وتعتبر النكرة هي الأصل لذلك كان محل التقديم . 2 والمعرفة تخصيص للنكرة وحد من إطلاقها ، وهي ستة أنواع : الضمير ، والعلم ، واسم الإشارة ، والاسم الموصول، و ذو الأداة ، والمضاف إلى واحد من هذه الأصناف ،. 3، وقد تنوب المعرفة عن النكرة عن المعرفة والعكس، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم

_عدول عن النكرة الى المعرفة نحو قوله تعالى: "أرسله معانا إذا يرتع ويلعب وإنّا له لحافظون قال إنّي ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون" (يوسف 12/ 13)، إنّ كلمة الذئب هنا جاءت معرفه والمعرف في اللغة العربية أنّ التعريف يرمز للشيء المعروف ومنه جاءت تسمية التعريف، ولكن الذئب هنا غير معروف وهو غير محدد، ومع هذا عدل عن النكرة بالمعرفة، ويقول أحد المفسرين : "التعريف في الذئب تعريف الحقيقة والطبيعة، يسمى تعريف الجنس، وهو هنا مراد به تعريف الجنس، وهو منا مراد به غير معين من نوع الذئب أو جماعة منه".

_عدول عن المعرفة إلى النكرة نحو قوله تعالى: "يا أيها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقو الله إنّ الله خبير بما تعملون" (الحشر18) إنّ مجيء كلمة نفس نكرة للدلالة

على الشّمولية، والعموم على عكس لو كانت معرفه لتحدد المعنى في نفس بعينها، "وتنكير نفس يفيد العموم في سياق الأمر، أي لتنظر كل نفس ...وتنكير (نفس) للتعظيم والتهويل، أي لغد لا يعرف كنهه"

2/ العدول الفعلي: ويتفرع هو أيضا إلى عدة فروع منها:

من أجل ذلك نحاول تتبع استعمال زمن الفعل في النص القرآني في حال عدوله بصيغته عن مألوف استعمالها وما تعارف عليه علماء الصرف وذلك بغية الوقوف على صور العدول في زمن الفعل التي تتلخص في:

أ- العدول عن الماضي إلى المستقبل:

ومن امثلته قوله تعالى : "الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب" (الرعد 28)، الفعل (تطمئن)عدل من الماضي إلى المستقبل ليدل على ديمومة الاطمئنان فاصل الكلام (واطمأنت قلوبهم)، لكن الزمن المستقبل فيه بعثه للدلالة على الاستمرار والتجدد فالاطمئنان بذكر الله موجود سابقا و حاضرا ومستقبلا، لذا جاء العدول هنا ليؤكد على التجدد والثبات.

ب- العدول عن المستقبل إلى الماضي: ومن نماذجه نذكر قوله تعالى : "ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون" (الممتحنة2)، عدل عن الفعل المضارع يودوا إلى الفعل الماضي ودّوا أي أنّ الكفار يودوا أن تكفروا من الان فكيف لو يأسرونكم أليس أهم شيء عندهم أن يردوكم كفارا، لأنّ محبتهم بأن يكفر المسلمون ليست مؤيدة بشرط الأسر بل هي كامنة في نفوسهم منذ القدم ، لذا جاءت صيغة الفعل في الماضي.

د-العدول عن الأمر إلى المضارع :

من أمثلته نجد قوله تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**" **(الصف 10، 11)**، فالخطاب هنا من المولى إلى المؤمنين وقد عدل عن الفعل الامر بالمضارع في كل من (تؤمنون تجاهدون) لكون المضارع هنا يحمل معنى الخبر، فالله يخبرهم بأحسن الأعمال التي تنجيهم من العذاب، فكلمة تؤمنون أدل على "إفادة الأمر بالدوام على الايمان وتجديده في كل آن "أما تجاهدونه فإنّها لا إرادة تجدد الجهاد اذا استنفروا إليه".

وفي الأخير يكمن القول أنّ العدول الصرفي بجميع أنواعه، يبقى السياق هو الذي يحدد الدلالة ويوضحها، وتبين مواضع الخرق من خلال العلاقة بين المفردات وما يعريها من خلال تغيير عن طريق العدول.

غايات العدول:[5]

أ/ غاية معنوية: متمثلة في توظيف المبالغة للوصول إلى أدق معنى، فدلالة الصيغ تختلف من صيغة إلى أخرى، لذا كان من الضروري تجسيد المعاني بأساليب مختلفة هدفها

ب/ غاية فنية: قد سبق وذكرنا أن الايقاع له اهميته في جذب الانتباه، وراحة النفس فلو جاء الكلام بنمط واحد لمل القارئ أو السامع، لهذا جاء القرآن بإيقاعه المميز من خلال احكام قراءته فهذا ند وهذه **غنة...**

[5]/ ينظر/ محاضرات في الاعجاز اللغوي، سليمة هالة، المركز الجامعي ميلة، ص 26.